٣ ـ شلر SCHILLER *

بقلم الدكتور على مظهر

١ — عذراء أورليان

أولع الكتاب والأدباء بسيرة تلك العذراء الفرنسية ، التى حاربت وقادت الجنود لمحاربة أعداء أمتها إذ ذاك، ولطرد الانجليز المحتلين من أرض فرنسا،وقد أغرم الناس بذكرها ؛ ولذا ترى عدة قصص ومسرحيات بهذا الاسم على تلك الفتاة ، ومن أولئك الأدباء شلر الشاعر الألمانى الكبير ، بل ربما كان من أوائلهم فى ذلك المضمار .

وعذراء أورليان هى جان دارك المولودة سنة ١٤١٠ فى قرية(دوم رمس) بالقرب من بوكولير فى مقاطعة الشمبانى ، وكان أبواها مثريين سريين، وفى ذلك الحين كانت انجلترا تحارب فرنسا سنين طويلة . وقد حارب ملك انجلترا هنرى الخامس (١٤١٣ — ١٤٢٢) ، وانتصر انتصاراً باهراً فى موقعة(ازنكور)سنة ١٤١٥ على ملك فرنسا شارل السادس الضعيف العقل (١٣٨٠ — ١٤٢٢) . وفتح هنرى بلاد النورماندى وكل الأراضى التى فى شمالى اللوار تقريباً، حتى أن خلفه هنرى السادس (١٤٢٢ — ١٤٦١) كان يسمى ملكا على أكثر الجزء الشمالى من فرنسا . وتقهقر ملك فرنسا شارل السابع (١٤٢٢ — ١٤٦١) بعد كل تلك الانتصارات الانجليزية . وقد انضم إلى الانجليز كل من إيزابو أم شارل ودوق البرجند. وحاصر الانجليز مدينة أورليان ، وأصبحت على وشك التسليم للأعداء ، وعندها تقدمت عذراء من أورليان وقادت صفوف الفرنسيين واضطرت الانجليز لرفع الحصار عن المدينة (سنة ١٤٢٩)، وأرادت أن تقود ملكها فى منطقة الأعداء إلى مدينة رمس لتتوجه هناك ، ولكنها وقعت أسيرة فى يد أعداء بلادها الانجليز بمدينة كمين ، وقدمت لمحاكمة كلها خزى وعار ، وأخذت سنة ١٤٣١ إلى مدينة روان، وأحرقها الانجليز وهى حية لاتهامها بالكفر والزندقة ، ولو أنه أعلن سنة ١٤٥٣ أنها كانت عفيفة لا ذنب ولا جرم عليها. هذا هو التاريخ الصحيح ولو أن شلر لم يراعه تماماً فى فاجعته التى كتبها عن تلك الفتاة .

أما المأساة فخيالية لما بها من اعتقادات بالولاية والكرامات الدينية أثناء القرون الوسطى، وأكثر أجزائها خيالا خاص بأهم شخصية للقصة نفسها . فأنت تجد العذراء ناعمة رقيقة شفيقة ذات شعور وإحساس سام،وقد قادتها نوازع الوحدة وميلها للحمية الدينية وتعصبها للمعتقدات لأن تتصل بعالم الأرواح، وظهرت لها مريم أم المسيح كما تظهر أمثال تلك الأرواح فى المنام.

* راجع العددين السابقين من « المرشد »

فلقنتها واجبها نحو وطنها المهدد بالأعداء وأنه يجب عليها أن تنقذه وأن تنجى ملكها. وأخبرتها أنه للقيام بذلك الواجب يجب عليها أن تنبذ كل حب للرجال، وأنه يجب عليها أن لا تبقى على أى عدو أو أن تراعيه، وقالت لها: « يجب عليك أن تقتلى كل حى يبعث به إليك إله الحرب »؛ وأصغت العذراء للنصح والارشاد وهجرت خطيبها، فغم ذلك أباها إذ طلقت الحياة وملاذها الدنيوية، وخلفت كل عواطف الأنوثة وإحساسها الرقيق أثناء الحرب، ورفضت الزواج بقائدين باسلين رغبا فى البناء بها، وهما دونوا ولاميير؛ ولما اقترب منها الفتى مونتجمرى راجياً منها العفو جعلت تنظر إليه؛ ولكنها لم تعطف عليه، ولم ترق له ولم ترض به ولم ترض ببطل آخر، وأخيراً اقترب منها (ليونل) أنبل القواد الانجليز، وكانت انتصرت عليه، وعند ما وقع نظرها عليه لم تر قتله، بل أحب قلبها عدو بلادها؛ ولكنها ما لبثت أن اعترفت بخطأها وهى تتبرم وتتأذى، وجاء وقت الاستغفار، وكان ما كان من وقوعها فى يد أعدائها وحرقها وهى على قيد الحياة.

وكتب شلر بعدئذ مأساة جديدة أسماها (عروس مسينا) أو (الاخوة الأعداء)، وكان ذلك فى سنة ١٨٠٣، وهذه هى الفاجعة بإيجاز:

فى بيت أمير مسينا ترى جداً يلعن أعقابه لعناً معتداً، وهو فى حلم، وقد رأى الأمير فى حلمه شجرتين من شجر الغار وبينهما زنبقة صارت لهباً والتهمت ما حولها بسرعة، وفسر له عرى ذلك الحلم بأن سيكون للأمير بنت سوف تسبب خراب ولديه وأعقابه وأولادها؛ ولما سمع الأمير ذلك التفسير أمر بأن يقتل ابنته التى ولدت بعدئذ بقليل، ولكن الأميرة رأت حلماً آخر، فقد رأت طفلا جميل الخلقة يلعب فى الأعشاب وجاء أسد من الغابة فوجد فى حجر الطفل صيده، وكذلك فعل النسر الذى انقض من عل، وبقى الأسد والنسر عند أقدام الطفل؛ فأخبرها راهب كانت تجد فى كلامه النصح والسلوى بأن تفسير ذلك: أن ابنتها التى ولدتها سوف تجمع بين أولادها الغضاب، وبذلك نجت الابنة من الهلاك؛ وتركتها الأميرة فى دير، وأخذت القديسة (سيسلى) فى تربيتها وتهذيبها؛ ولبثت البنت سنين وهى محتبئة فى ذلك الدير إلى أن مات الأمير. وفى أثناء تلك المدة شب ابنا الأمير وترعرعا ونشأ بينهما خصام وكراهية؛ وطالما عاش الأمير كان يسكت ما يحتد بينهما من لجاج؛ وما يشب بينهما من عداوة وخصام؛ ولكنه لما مات استعر لهيب العداوة بينهما ونشبت الحرب بين الأخوين؛ وهددت كيان البلاد؛ ونجحت الأم فى مسعاها؛ واصطلح الأخوان على أن يقيما فى قصر أبيهما بمسينا وهما على وفاق؛ ولما عاد لهما السرور وعمهما الحبور، أخبرتهما الأم بحكاية أختهما، وأخبرها الولدان بأنهما خطبا عروسين، وسوف يقدمانها لأمهما؛ ولكن ما لبث أن انقلب السرور إلى حزن، إذ ظهر أن كلا من الأخوين يحب أخته المشار إليها. فقد رأى الدون مانويل أنثى الآيل فطاردها يريد اقتناصها حتى وصل إلى حديقة الدير، فلمح بياتريس فأحبها، وتمكن حبها من قلبه. أما أخوه الآخر دون سيزار، فقد رآها يوم جناز

أبيه فى كنيسة القصر فأحبها عندئذ ولم يشك فى حبها له ؛ وفى ليلة اتفاق الأخوين أخذ مايدول حبيبته من الدير وفر بها ، وجاء بها إلى حديقة منفردة ، ولما تصالح هو وأخوه أسرع إلى هناك لاحضارها فتصبح أميرة فى قصر أبيه ، وجاء جاسوس إلى سيزار وأخبره بفرار حبيبته من الدير وغواية أخيه لها ، فطعن أخاه ـ وهو مغضب ـ لأنه ظن أنه خانه ، وأمر فأحضرت بياتريس لأمها وكشفت عن الحقيقة، ولم يلبث المطعون أن مات، وأن انتحر الأخ الآخر، وحق فى ذلك تفسير الحلم الأول .

ونرى من ذلك أن شلر قد حافظ كل المحافظة على الأصول العتيقة فى تلك الفاجعة ؛ بينما نراه قد ركن إلى الخيال فى (عذراء أورليان)، ونعنى بالأصول العتيقة : ماتراه من فكرة القضاء والقدر، وما قسم لأسرة بأكملها أن تهلك ، لما جره عليها ذنب الأجداد ، وأن ليس لأخلاق الانسان ولا لإرادته علاقة ما بالمقدور ، بل يلبث مختفيا ويدفع الناس للهلاك. فلكل ما قدر ، وليس من منقذ ولا شفيع . ويعتقد الانسان أنه باحتراسه سوف ينجو فيكون فى ما ظنه هلاكه ، وكذلك تم الأمر فى تلك الفاجعة ، وقد سار شلر على طريقة القدماء بادخاله التراتيل فى تلك الفاجعة، وإن كان لم يتبع طريقة الاغريق فى كتابة المأسى تماما . وشخصيات الفاجعة ليست واضحة معينة تماما، وإنما تبين حدودها ، ولكن للفاجعة عظمتها التامة وروعة أسلوبها الشعرى .

٢ — فيلهلم تل

كتب شلر تلك المأساة سنة ١٨٠٤ ، وكانت ختام ما كتب من تلك المآسى. وفى (فيلهلم تل) نراه قد عاد إلى نوع المآسى التاريخية الفعلية ، فنراه فى تلك المأساة قد أوضح عن آرائه فى الحرية إيضاحا كافيا، وهى التى ظل ينادى بها منذ نشأته، وفى مآسى صباه وشبابه . وتعالج المأساة قصة ثلاثة من السويسريين هم شوتز وأورى وأوتر فالدن، وحربهم ضد الدوق البرشت النمساوى الذى أصبح بعدئذ قيصر ألمانيا وسمى البرشت الأول ، وظل كذلك من سنة (١٢٩٨ — ١٣٠٨)، وكان يرى استعباد سويسرا وأهلها ، فأرسل إليها حكاما ومفتشين كلهم متغطرس متعجرف ، فظلموا البلاد والعباد ، فطرح السويسريون النير عن أعناقهم، وتم ذلك باتحاد عقد فى (مرج رتلى) الواقع على بحيرة الأقاليم الأربعة ذات الغابات بسويسرا ، وقد تم لتل إنقاذ البلاد من عدوها الأكبر الحاكم جسلر وانضم إليه كثيرون. وفى تلك المأساة يظهر تل بمظهر رجل العمل ، ومع أنه كان مغرما بحب بلاده، إلا أنه لم يشترك فى اتحاد رتلى المشار إليه ؛ ومن العجب أن شلر لم ير فى حياته سويسرا، ولكنه قد أجاد فى وصفها وصفا صحيحا، وقد طالع قبل كتابته تلك المأساة من المراجع : تاريخ حلف السويسريين ليوهانس فون مولر (ولد سنة ١٧٥٢ فى شافهوزن وتوفى فى كاسل سنة ١٨٠٩)، وله تآليف أخرى، كما أنه راجع

حوادث (اجيديوس تشودى)،وقد اتبع شلر فى قصته ما فيهما من حقائق،حتى أنه نقل الخطب التى نقلها (تشودى) فى حوادثه .

وقد دعى لبرلين ليحضر تمثيل فيلهلم تل هناك ، ولكنه أبى ، وقد تحسنت حالته العامة فى سنيه الأخيرة،وانتقل من عسر ـ كالحه فى صباه ـ إلى يسر ظاهر ، وأنعم عليه قيصر ألمانيا بلقب تشريف ، بناء على إيعاز من(الهر تزوج) اعترافا بخدماته،وكان ذلك سنة ١٨٠٢ ، ولما احتفل بزواج ولى عهد فيمار على الأميرة العظيمة (ماريا باولوفنا) أنشدقصيدته (نغمة الفنون).

وكان فى عزمه أن يكتب آثاراً أخرى ، منها فاجعة جديدة اسمها (دمتريوس) من خيار ما كتب الشاعر ، ولكنه لم يتمها ، فقد عاجله الموت بفيمار فى اليوم التاسع من شهر مايو سنة ١٨٠٥ ، وقد عاشت أرملته فى بون إلى سنة ١٨٢٦ ، وخلف كارل وأرنست وابنتين هما كارولينا وإميلى ، وقد توفيت الأخيرة سنة ١٨٧٢،ومات آخر حفدته الذكور سنة ١٨٧٧ ، وكان بكباشيا فى الجيش النمساوى ، ولا يزال ابن حفيدته يعيش حتى الآن فى موئيخ وهو كاتب معروف .

على مظهر

وصف العود

للأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

شيخ المعازف طول عمره ... أعصابه من فوق نحره
يبكى فيصمت فجأة ... فكأن حشرجة بصدره
ويظل طوراً نائحاً ... فتظنه يبكى بسحره
وعلى كلا الحالين يرـ ... ـثى عثريا أسى لغريب أمره !
أمريض حتى ناقض ... أم واصف ضربان دهره
أم ريشة العواد آـ ... ـذته فبدد كل صبره
واهتاج ينفض نفسه ... كالميت ينشر بعد قبره
ضربوا به كل النحو ... ن فيا له جهلا بقدره
أتراه للأفراح تو ... اقاً وذاق وبال عمره
شيخ تحارب دهره ... للآن لم يظفر بنصره

مصطفى جواد